

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة
العصية

٢٥ سبتمبر ٢٠٢٦

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

حَدَّثَكُمْ فِي الْأُسْبُوعِ الْمَاضِي عَنِ الْآفَةِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تَرَبَّصُ بِالْعِلْمِ وَتَرَبَّصُ بِالِدِّينِ .. أَلَا وَهِيَ آفَةُ الْهُوَى، وَإِذَا ذُكِرَ الْهُوَى فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ الْعَصَبِيَّةَ .. فَهَمَّا شَقِيقَانِ، بَلْ هُمَا تَوَّامَانِ فِي التَّرَبُّصِ بِالْعِلْمِ وَالدِّينِ، وَفِي أَنْ كُلًّا مِنْهُمَا آفَةٌ أخطرُ مِنَ الْأُولَى، تَقِفُ فِي وَجْهِ التَّمَسُّكِ بِالِدِّينِ الْحَقِّ، كَمَا تَقِفُ فِي وَجْهِ التَّمَسُّكِ بِقَوَاعِدِ الْعِلْمِ، كَمَا تَفُوتُ عَلَى الْإِنْسَانِ إِخْلَاصَهُ لَوَجْهِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَإِذَا قَدْ تَكَلَّمْنَا عَنِ الْهُوَى وَأَفَاتِهِ وَخَطُورَتِهِ، فَلَنَتَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنِ الْعَصَبِيَّةِ وَخَطُورَتِهَا، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَحْجِزَنَا عَنْ أخطَارِ كُلِّ مِنْهُمَا، وَعَسَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَرْزُقَنَا بَصِيرَةً قَلْبٍ تَبْعِدُنَا عَنْ مَطَارِحِ الْهُوَى وَعَنْ مُنْزَلَقَاتِ الْعَصَبِيَّةِ.

الْعَصَبِيَّةُ: هِيَ أَنْ يَنْتَصِرَ الْإِنْسَانُ لِمَجَاعَتِهِ أَوْ قَوْمِهِ، أَوْ قَبِيلَتِهِ، أَوْ عَشِيرَتِهِ، أَوْ مَذْهَبِهِ الَّذِي يَنْتَمِي إِلَيْهِ، أَوْ شَيْخِهِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي ذَلِكَ بِأَنْ يَتَنَكَّبَ عَنِ الْحَقِّ، وَأَنْ يَتَبَعِدَ عَنِ نِبْرَاسِ الْعِلْمِ وَضِيَائِهِ، تَلَكُمُ هِيَ الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُحَارَبَتِهَا، وَلِتَحْرِيرِ الْإِنْسَانِ مِنْ غَوَائِلِهَا، بَلْ تَلَكُمُ هِيَ الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي أُودِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَوَاتٍ دَعْوَتِهِ الطَّوِيلَةَ مِنْ أَجْلِهَا، وَتَلَكُمُ هِيَ الْعَصَبِيَّةُ، الَّتِي نَبَّهَ الْقُرْآنُ إِلَى ضَرُورَةِ التَّرَفُّعِ فَوْقَهَا، وَأَخَذِ الْحَذَرِ مِنْهَا، وَهِيَ الَّتِي نَوَّهَ الْقُرْآنُ بِهَا مَرَارًا وَتَكَرَّرًا، وَذَلِكَ فِي مِثْلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

وَفِي مِثْلِ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾

هَذِهِ الْعَصَبِيَّةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ هِيَ الْآفَةُ الثَّانِيَّةُ، الَّتِي تَرَبَّصُ بِإِيمَانِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالَّتِي تَحْجُبُ الْإِنْسَانَ عَنْ مَعْرِفَةِ الْحَقِّ، وَتَضَعُ الْعَصَائِبَ عَلَى الْعَقْلِ، فَلَا يَفْرُقُ بَيْنَ حَقٍّ وَبَاطِلٍ، ثُمَّ إِنَّهَا الْآفَةُ الَّتِي تَحْجُبُ الْإِنْسَانَ عَنِ الْوُصُولِ إِلَى لَذَّةِ الْإِخْلَاصِ لِوَجْهِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ كَيْفَ يُخْلَصُ هَذَا الْإِنْسَانُ لِوَجْهِ رَبِّهِ؟ وَقَدْ مَنَحَ قَلْبَهُ وَإِخْلَاصَهُ لِلْجَمَاعَةِ الَّتِي يَتَعَصَّبُ لَهَا؟ سَوَاءٌ - كَمَا قُلْتُ لَكُمْ - كَانَتْ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ قَبِيلَةً يَعْتَزُّ بِهَا، أَوْ قَوْمًا يَتَّبَاهَى بِهِمْ، أَوْ أَهْلَ مِلَّةٍ وَمَذْهَبٍ يُشَدُّ أَوَاصِرُهُ بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِمْ، أَوْ شَيْخًا يَتَّبَاهَى بِالْإِنْتِسَابِ إِلَيْهِ، غَيْرَ مُبَالٍ فِي هَذَا الْإِتِّبَاعِ أَنْ يَتَّعِدَ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَأَنْ يُخَاصِمَ الْعِلْمَ، وَأَنْ يُخَاصِمَ مَوَازِينَ الْمَنْطِقِ، وَمَنْهَجَ كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَسُنَّةَ رَسُولِهِ.

وَهَذِهِ الْعَصَبِيَّةُ يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَرْعٌ مِنَ الْكِبَرِ الدِّينِيِّ. فَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ. وَالْكَبَرُ نَوْعَانِ اثْنَانِ:

كِبَرٌ أَسَاسُهُ الْأَنْأَانِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ، إِذْ يَرَى الْإِنْسَانُ مِنْ خِلَالِهِ ذَاتَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، هَذَا هُوَ النَّوعُ الْأَوَّلُ مِنَ الْكِبَرِ "الْأَنْأَانِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ".

النَّوعُ الثَّانِي: "الْأَنْأَانِيَّةُ الْجَمَاعِيَّةُ". أَنْ يَتَّبَاهَى الْإِنْسَانُ وَلَكِنْ لَا بِشَخْصِهِ الْمَفْرَدِ، وَإِنَّمَا يَتَّبَاهَى بِنِسْبَتِهِ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ. الْجَمَاعَةُ الَّتِي هُوَ عَضْوٌ فِيهَا، الْفِتَّةُ الَّتِي تَنَامَتْ عَصَبِيَّتُهُ بِالْإِرْتِبَاطِ بِهَا، فَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ وَالْأَنْأَانِيَّةِ، إِلَّا أَنَّهَا أَنْأَانِيَّةٌ جَمَاعِيَّةٌ وَلَيْسَتْ أَنْأَانِيَّةٌ فَرْدِيَّةٌ، فَالشَّخْصُ الْمَفْرَدُ الَّذِي لَا يَنْتَمِي إِلَى أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ إِنْ تَكَبَّرَ فَكِبَرِيَاؤُهُ فِي ذَاتِهِ، وَتَعَالَيْهِ عَلَى الْآخَرِينَ بِشَخْصِهِ، وَذَلِكَ هُوَ شَأْنُ الْفَرَاعِنَةِ وَمِنْهُمْ فِرْعَوْنُ مُوسَى الَّذِي ذَهَبَ بِهِ الْكِبَرُ مَذْهَبًا قَالَتْ فِيهِ لِلنَّاسِ: "أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى"، تِلْكَ هِيَ الْأَنْأَانِيَّةُ الْفَرْدِيَّةُ.

أَمَّا الْعَصَبِيَّةُ فَهِيَ نَوْعٌ آخَرُ خَطِيرٌ مِنَ الْكِبَرِ .. وَلَكِنَّهُ لَا يُمَثِّلُ فِي أَنْأَانِيَّةِ الْفَرْدِ فِي ذَاتِهِ ..

إِنَّهَا الْأَنْأَانِيَّةُ الَّتِي يَتَّبَاهَى الْإِنْسَانُ بِهَا إِذْ يَنْتَسِبُ إِلَى قَوْمٍ فِتَّةٍ، إِلَى جَمَاعَةٍ، إِلَى نَحْلَةٍ، إِلَى مَذْهَبٍ، إِلَى شَيْخٍ مِنَ الشُّيُوخِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ الْمُنْتَمِي إِلَى هَذِهِ الْجَمْعَةِ يَنْتَمِي إِلَيْهَا بِنَاءً عَلَى بَصِيرَةِ الْعِلْمِ وَبِنَاءً عَلَى دَلَائِلِ الْحَقِّ، فَإِنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ فِي حَقِيقَةِ أَمْرِهِ مُتَّبِعٌ لِلْحَقِّ، وَلَيْسَ مُتَعَصِّبًا لِقَوْمٍ، ذَلِكَ لِأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ إِنْ رَأَى ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّ مِيزَانَ الْحَقِّ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِنْصِرَافِ عَنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ وَإِلَى الْإِبْتِعَادِ عَنْهَا، لَمْ يَتَرَدَّدْ فِي أَنْ يَسْتَجِيبَ لِمِيزَانِ الْحَقِّ. فَهَذَا لَيْسَ مُتَعَصِّبًا وَإِنَّمَا هُوَ مُتَّبِعٌ لِلْحَقِّ.

أَمَّا الْمُتَعَصِّبُ الَّذِي تَتَكَلَّمُ عَنْهُ وَنَسَأَلُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُعَافِيَنَا مِنْ آفَةِ هَذَا الْبَلَاءِ الْخَطِيرِ، فَهُوَ ذَاكَ الَّذِي يَجْعَلُ انْتِمَاءَهُ لِلْجَمَاعَةِ بَدِيلًا عَنْ انْتِمَائِهِ لِلْحَقِّ. بَدِيلًا عَنْ تَمَسُّكِهِ بِمِيزَانِ الْعِلْمِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَمِنْ هُنَا تَأْتِي الْخُطُورَةُ، وَهَذَا مَا فَعَلَهُ الْمُشْرِكُونَ عِنْدَمَا بُعِثَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَانُوا يَتَعَصَّبُونَ لِأَبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ، الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِشَكْلِ لَا يُقِرُّهُ عَقْلٌ وَلَا مَنْطِقٌ، فَلَمَّا نَبِهَهُمْ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْحَقِّ وَنَبِهَهُمْ إِلَى قَرَارِ الْعَقْلِ وَمَوَازِينِ الْمَنْطِقِ وَالْعِلْمِ. مَاذَا كَانَ مَصِيرُهُمْ؟

وَجَدُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى مُفْتَرَقِ طُرُقٍ، إِمَّا أَنْ يَتَّبِعُوا الْحَقَّ وَيَتَّخِذُوا مِنَ الْعَصَبِيَّةِ الْمَقِيَّتَةِ، وَيَتَّسِكُوا بِالْحَقِّ الَّذِي لَا ثَانِيَ لَهُ. وَإِمَّا أَنْ يَرْكَبُوا رُؤُوسَهُمْ فِي التَّعَصُّبِ لِأَبَائِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ وَإِنْ اقْتَضَاهُمْ ذَلِكَ أَنْ يَسْحَقُوا الْعِلْمَ وَالْحَقَّ وَقَرَارَ الْعَقْلِ تَحْتَ أَقْدَامِهِمْ. وَهَذَا مَا فَعَلُوهُ؛ وَلِذَلِكَ نَعَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ تِلْكَ الْعَصَبِيَّةَ الشَّعَاءَ وَقَالَ:

سورة البقرة — آية ١٧٠

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾

وَهُمُ الَّذِينَ عَنَاهُمْ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ فِي قَوْلِهِ:

سورة الأعراف — آية ١٧٩

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾

يَا عَجَبًا... مَا هُوَ هَذَا الشُّعُورُ الْغَلَابُ الَّذِي يَتَغَلَّبُ عَلَى الْعَقْلِ فَيَحْجُبُهُ عَنْ صَاحِبِهِ، وَيَتَغَلَّبُ عَلَى نُورِ الْبَصَرِ فَيُصْبِحُ الْبَصَرُ وَكَأَنَّهُ قَدْ عَشِيَ وَعَمِيَ، وَيَتَغَلَّبُ عَلَى قُوَّةِ السَّمْعِ فَلَا تَعُودُ الْأُذُنُ تَسْمَعُ. مَا هِيَ هَذِهِ الْقُوَّةُ الْعَجِيبَةُ؟ إِنَّهَا الْعَصَبِيَّةُ.

الْعَصَبِيَّةُ الَّتِي تَشُلُّ فَاعِلِيَّةَ الْعَقْلِ، وَتَشُلُّ فَاعِلِيَّةَ السَّمْعِ، وَتَشُلُّ فَاعِلِيَّةَ الْبَصَرِ.. فَيَعْدُوا هَذَا الْإِنْسَانُ وَهُوَ لَا يُسَبِّحُ إِلَّا بِحَمْدِهِ مَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ.

قَدْ تَجَدَّدَ هَذِهِ الْعَصَبِيَّةُ مُقَنَّعَةً بِأَقْنَعَةٍ شَتَّى... قَدْ تَجَدَّدَهَا مُقَنَّعَةُ بَقِنَاعِ الْقَوْمِ، وَقَدْ تَجَدَّدَهَا بِقِنَاعِ الْإِنْتِصَارِ لِلْعَشِيرَةِ، وَقَدْ تَجَدَّدَهَا مُقَنَّعَةُ بَقِنَاعِ الدِّينِ ذَاتِهِ، وَهَذَا أَمْرٌ خَطِيرٌ جَدًّا، يَقْنَعُ عَصَبِيَّتَهُ بِالْدِّينِ وَلَكِنَّهُ لَوْ تَنَبَّهَ إِلَى ذَاتِهِ لَرَأَى نَفْسَهُ

يُحَارِبُ الدِّينَ بِقِنَاعِ الدِّينِ ذَاتِهِ، يُقْنِعُ عَصَبِيَّتَهُ بِاسْمِ الدِّينِ، ثُمَّ إِذَا ذُكِرَ بِمَوَازِينِ الدِّينِ - وَلَيْسَ لِلدِّينِ سِوَى مِيزَانٍ وَاحِدٍ - هُوَ الْعِلْمُ، أَعْرَضَ عَنِ الْعِلْمِ.

إِذَا ذُكِرَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَبِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَوَّى الرَّأْسَ مُعْرِضًا عَنْ كِتَابِ اللَّهِ وَعَنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ يُفْضِلُ عَلَى ذَلِكَ عَصَبِيَّتَهُ .. وَهَكَذَا فَهُوَ يَقْنِعُ عَصَبِيَّتَهُ رُبَّمَا بِاسْمِ الدِّينِ .. ثُمَّ إِنَّهُ يَنْدُّ عَنِ الدِّينِ بِهَذِهِ الْعَصَبِيَّةِ ذَاتِهَا... وَلِحِكْمَةٍ بِاللُّغَةِ نَزَلَ الْبَيَانُ الْإِلَهِيُّ عَامًّا يَشْمَلُ حَتَّى الدِّينَ ذَاتَهُ يَقُولُ فِيهِ رَبُّنَا جَلَّ جَلَالُهُ:

سورة الإسراء - آية ٣٦

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

وَلَكَمْ وَقَفْتُ يَا عِبَادَ اللَّهِ أَمَامَ كَلِمَةِ "مَا" أَدَاةِ الْعُمُومِ هَذِهِ، وَلَا تَقْفُ: أَيُّ لَا تَتَّبِعْ شَيْئًا مَا لَمْ يَدْلِكَ الْعِلْمُ عَلَى أَنَّهُ الْحَقُّ، أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ أَنَّ الدِّينَ ذَاتَهُ دَخَلَ فِي هَذَا الْعُمُومِ، أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ أَنَّ الْعَقَائِدَ الدِّينِيَّةَ ذَاتَهَا كَيْفَ دَخَلَتْ بِهَذَا الْعُمُومِ، أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَحْرُرُ كِتَابُ اللَّهِ عَقْلَ الْإِنْسَانِ مِنَ التَّبَعِيَّةِ، وَيَصْعَدُ بِهِ إِلَى سُدَّةِ الْفِكْرِ الْإِنْسَانِيِّ الْعَقْلِيِّ الْكَامِلِ الْمُنْطَلَقِ؟

مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ، أَنَّكَ إِنْ تَمَسَّكَتَ بِالدِّينِ فَلَا تَمَسَّكَ بِهِ عَنْ عَصَبِيَّةِ عَمِيَاءَ، فَرُبَّمَا أَضَلَّتْكَ هَذِهِ الْعَصَبِيَّةُ، لَا تَمَسَّكَ بِهِ فِي عَقَائِدِهِ الْأَسَاسِيَّةِ عَنْ تَقْلِيدٍ، لِأَنَّ هَذَا التَّقْلِيدَ رُبَّمَا أَتْلَفَكَ وَأَهْلَكَكَ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مِيزَانِ الْعِلْمِ الَّذِي مَتَعَكَ اللَّهُ بِهِ وَأَكْرَمَكَ بِهِ، فَسِرْ وَرَاءَ قَرَارِ الْعِلْمِ، وَإِنْ غَمَّ عَلَيْكَ السَّبِيلُ وَلَمْ تَعْلَمْ حَقَائِقَ الْعِلْمِ، فَدُونَكَ كِتَابُ اللَّهِ فَكِتَابُ اللَّهِ هُوَ النَّبْرَاسُ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنْ حَقَائِقِ الْعِلْمِ شَيْئًا، وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ فِي عُمُومَاتِهِ لَا تَفْقَهُهُ كَمَا يَنْبَغِي، فَدُونَكَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَضَعُ لَكَ النِّقَاطَ عَلَى حُرُوفِهَا وَتُشْرِحُ لَكَ الْغَوَامِضَ وَتُبَيِّنُ لَكَ الْمُجْمَلَ وَالْمَوْجَزَ .. هَكَذَا يَا مُرْنَا رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَلَوْ التَّفَتْنَا إِلَى آفَةِ الْمُجْتَمَعَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ، تِلْكَ الَّتِي تَمَزَّقُ الْمُسْلِمِينَ فَنَاتٍ شَتَّى وَتَنْهِنَا إِلَيْهَا لَرَأَيْنَا أَنَّ السِّكِّينَ الَّتِي تَمَزَّقُ جِسْمَ الْمُجْتَمَعِ الْإِسْلَامِيِّ إِنَّمَا يَتَمَثَّلُ فِي سِلَاحَيْنِ اثْنَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ سِلَاحُ الْهَوَى، أَوْ سِلَاحُ الْعَصَبِيَّةِ .. وَلَنْ تَجِدَ سِلَاحًا ثَالِثًا أَوْ سِكِّينًا ثَالِثَةً تَمَزَّقُ وَحْدَةً الْمُسْلِمِينَ فِي أَيِّ عَصْرِ مِنَ الْعُصُورِ...

انْظُرْ إِلَى عَصْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ بُعِثَ فِيهِ وَالْعَرَبُ فَنَاتٍ شَتَّى تَتَخَصَّمُ وَتَتَعَارَكُ. مَا الَّذِي كَانَ يَدْعُو إِلَى هَذَا الْخِصَامِ؟ الْعَصَبِيَّةُ وَالْهَوَى.

عِنْدَمَا اتَّحَدَ شَمَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَأَصْبَحَتْ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ فَعَلَّا .. كَيْفَ تَمَّ ذَلِكَ؟

لَمَّا نَجَحَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ فِي أَنْ تَتَخَلَّى عَنْ عَصَبِيَّتِهَا وَتَتَخَلَّى عَنْ أَهْوَائِهَا وَتَتَحَرَّرَ إِلَّا مِنَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ. اتَّحَدَتْ.

فَلَبَّا عَادَ هَذَا الْوَبَاءُ مَرَّةً ثَانِيَةً، وَبَاءَ الْأَهْوَاءِ وَوَبَاءَ الْعَصَبِيَّةِ يَفْعَلُ فِعْلَهُ فِي الْأَفْكَارِ وَالنُّفُوسِ، عَادَتِ الْأُمَّةُ الْوَاحِدَةُ أُمًّا شَتَّى وَعَادُوا فِتْنَاتٍ مُتَخَاصِمَةً مُتَهَارِجَةً، وَكَانَ بَوْسُعِهِمْ أَنْ يَظْلُؤُوا مُتَحِدِينَ، أَنْ يَظْلُؤُوا مُتَاَخِينَ، مُتَسَالِمِينَ. لَوْ أَنَّهُمْ أَوُوا إِلَى عُقُولِهِمْ.

أَسْأَلُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ يَرْزُقَنَا مِنْ حَرَارَةِ الْإِخْلَاصِ لِدِينِ اللَّهِ مَا يُذِيبُ وَبَاءَ هَذِهِ الْعَصَبِيَّةِ وَذَلِكَ الْهَوَى .. وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنَ الصَّادِقِينَ كَمَا أَمَرَ فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَاسْتَعِينَهُ وَاسْتَغْفِرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

سورة الأحزاب — آية ٥٦

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ: أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَعَنْهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ. اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَانصُرْ عِبَادَكَ الْمُوحِدِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

اللَّهُمَّ ارْحَمْ وَالِدَيْنَا وَوَالِدَيِ الْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ، وَارْحَمْهُمْ كَمَا رَبَّوْنَا صِغَارًا. اللَّهُمَّ اشْفِ مَرْضَانَا وَمَرْضَى الْمُسْلِمِينَ، وَفَرِّجْ كَرْبَ الْمَكْرُوبِينَ، وَنَفِّسْ عَنِ الْمَهْمُومِينَ، وَأَقْضِ الدَّيْنَ عَنِ الْمَدِينِينَ. اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَارْفَعْ الظُّلْمَ وَالْبَلَاءَ عَنْ إِخْوَانِنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا وَاهْدِ بَنَاءَ، وَاجْعَلْنَا سَبِيلًا لِمَنْ اهْتَدَى. اللَّهُمَّ ارْنَا الْحَقَّ حَقًّا وَارْزُقْنَا اتِّبَاعَهُ، وَارْنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَارْزُقْنَا اجْتِنَابَهُ. اللَّهُمَّ احْفَظْ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْفَظِ الْبِلَادَ الَّتِي نَعِيشُ فِيهَا، وَأَدِّمْ عَلَيْهَا الْأَمْنَ وَالْأَمَانَ وَالرِّخَاءَ. اللَّهُمَّ وَفِّ الْقَائِمِينَ عَلَى هَذَا الْمَرْكَزِ وَهَذَا الْمَسْجِدِ، وَبَارِكْ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاجْعَلْهُ بَيْتًا مِنْ بُيُوتِ الْعِلْمِ وَالذِّكْرِ. اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ وَذُرِّيَّةً صَالِحَةً.

سورة النحل — آية ٩٠

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

سورة البقرة — آية ١٥٢

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾